



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني  
"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"  
17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

## خطاب الرحلة الأندلسية عند ابن خلدون ومقاصده

أ.م.د. غيداء أحمد سعدون

العراق / جامعة الموصل

كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

المخلص:

يتضمن هذا البحث دراسة لسانية تداولية لخطاب الرحلة الأندلسية عند ابن خلدون، إذ وقفنا عند مصطلح الخطاب وآلياته ومقاصده وكيف وظفه في توثيقه لرحلته إلى الأندلس التي ضمّنها في كتابه (رحلة ابن خلدون) أو كما يسمى (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، فوقفنا عند معماريته للخطاب الرحلي، واستشفاف مقاصده من خلال المنهجية السردية التي اتبعها في: ذكر (رؤيته لذاته وللآخرين ورؤيتهم له)، إذ استوقفنا طريقة تعامله مع الآخرين من الصحب والأعداء وما يقتضيه من الاستلزام الخطابى والحجاج والإقناع، فضلاً عن منهجيته في ذكر (الشخصيات) التي وجدناه يطيل الوقوف عند بعضها ويتجاهل الأخرى رغم اتفاهم بالمكانة العلمية والسياسية، ووقفنا أيضاً عند آلياته الخطابية في تحديد (الأزمنة والأحداث) وكيفية توثيقها في خطابه الرحلي هذا، كما تتبعنا ذكر (الأمكنة) وأوصافه لها وما يلحقها من اقتضاء، مقترناً ذكر تلك العناصر عامة بالمقاصد التي يبتغيها، وقد وصلنا إلى نتيجة أن المقصدية الكبرى التي ابتغى إبرازها من ذكره لهذه الرحلة كانت إعلاء شأن نفسه، وإثبات براعته اللغوية والأدبية، وإبراز مكانته ومكانة أسلافه في الأندلس والحنين إلى إعادة تلك الأمجاد فيما يعرف في علم النفس بمصطلح (النوستالوجيا)، فضلاً عن مقصدية أخرى استشفيناها من خطابه الرحلي إلى الأندلس في مقدمتها التوثيق التاريخي لأحداث عصره، والتوثيق الأدبي لنصوصه ونصوص غيره من الأدباء، فضلاً عن إبراز النسق الثقافي للبيئة الأندلسية.

الكلمات المفتاحية:



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

(المجلد الأول) 2020 كانون الأول 17-16



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

ابن خلدون، أدب الرحلة، الخطاب والمقصدية، الرحلة الأندلسية، المنهجية السردية للرحلة، لسانيات النص الرحلي.

## Discourse of the Andalusian Journey according to Ibn Khaldūn and its Intentions

Assistant Professor Dr. Ghaida Ahmed Sa'adoun

University of Mosul

College of Education for Girls

Department of Arabic Language

### ABSTRACT

The present research requires a contemplation about the term of discourse, its mechanisms and purposes, and how Ibn Khaldūn employed it in documenting his journey to Andalusia, which he included in his book (The Journey of Ibn Khaldūn) or as it is called (Definition of Ibn Khaldūn and his Journey to the West and the East). In fact, we have a pause to contemplate about his architecture of the journey speech to discover its objectives through the narrative methodology that he followed in: He mentioned (his vision of himself and others and their vision of him. The way of composing the others, including companions and enemies, , and what he needs in terms of communicative requirements , arguments and persuasion make us have a stand about it besides his methodology for mentioning the (personalities) whom he stays long at some of them and ignores others despite their agreement on the scientific and political status. What attracts our attention is the rhetorical mechanisms in determining (times and events) and how to document them in his journey discourse , and we also followed the mention of (Andalusian places and environment) and its descriptions of them and what accompanies them. This is accompanied with the general mention of these elements with the purposes that he sought and we come to the conclusion that the major intention he wanted to highlight is the one who mentioned this journey is to uphold himself and to prove his linguistic and literary prowess, and highlight his position and that of his predecessors in Andalusia , We have come across that Ibn Khaldūn, in this journey, he is yearning for his past and the dearness of his ancestors in Andalusia as if he was there and lived in this past and this is , in psychology, known as nostalgia.. We add the other intentions that we can discern from his journey speech to a, foremost of which is the historical documentation of the events of his time. We have taken into consideration the literary documentation of his texts and those of other writers, as well as highlighting the cultural pattern of the Andalusian environment.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

(17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

**Key words:** Ibn Khaldūn, Travel Literature, Discourse and intention , The Andalusian Journey, Narrative Methodology of the Journey , Linguistics of the Travel Text

إن (أدب الرحلة) قد لاقى ما لاقاه من اهتمام الدارسين، وهو أدب يتراوح بين القصة أو الرواية وبين السيرة الذاتية، يحاول فيه الأديب الرحالة أن ينمق خطابه فيه وصولاً إلى جذب المتلقي وتشويقه للاستمرار في قراءة ما يكتبه الرحالة عن رحلاته، موظفاً الآليات الخطابية التواصلية والعناصر القصصية من توالي الأحداث ووصف المكان والزمان والشخصيات وحواره معها بصورة مقنعة ومشوقة (1)، ويصف الدكتور حسين نصار الرحلة الأدبية بأنها الأخت الشقيقة للقصة والرواية (2).

أما مصطلح (الخطاب) وآلياته فإنه يمثل مدار اهتمام الدارسين للأدب في الوقت الحالي، وقد تشعبت وتعددت مسالكه ومفاهيمه غير المتناهية (3)، وذكر ابن منظور (الخطاب) في معجمه بقوله: ((حَطَبَ فلانٌ إلى فلانٍ فخطبهُ وأخطبه أي أجابه. والخطاب والمُخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبَه بالكلام مُخاطبةً وخطاباً وهما يتخاطبان)) (4)، وقد ورد في تعريف مصطلح (الخطاب) أنه: (( نص مكتوب يُنقل من مُرسل إلى مُرسل إليه )) (5)، وقد جاء الاهتمام بهذا المصطلح بشكل أوسع ضمن ما يطلق عليه (الدراسات التداولية) مركزين على أثر اللغة في الخطاب من المنظور التداولي والتي لها وظيفتان رئيستان ترتبطان بمقاصد الانسان هما الوظيفة التفاعلية والوظيفة التفاعلية ، الأولى تقوم بالنقل الناجح للمعلومات، والثانية التي يقيم الناس بها علاقاتهم ويتبنون من خلالها التفاعل مع غيرهم والتأثير بهم(6).

<sup>1</sup> ينظر: السيميولوجيا وأدب الرحلات: لطيف زيتوني، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج24، ع3، 1996م، 257.

<sup>2</sup> أدب الرحلة، 132.

<sup>3</sup> ينظر: مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج15، ج7، سنة 2005، 123.

<sup>4</sup> لسان العرب المحيط، (مادة: خطب)، ج1/ 855.

<sup>5</sup> معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، 159.

<sup>6</sup> ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، .، iv



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني  
"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"  
17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

كما أن مصطلح (التداولية) لاقى إشكالية وتداخلاً مع غيره من المصطلحات وخضع إلى الكثير من الدراسات التي تصب في مجملها على الخطاب وآلياته ووظائفه (7).

ومن أبرز الوظائف الخطابية المبتغاة توصيل المقاصد، حيث ((يرتكز دور المقاصد، بوجه عام، على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتخاب الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى)) (8).

وتتعدد وظائف اللغة الخطابية في أدب الرحلة لمحاولة تحقيق التواصل اللفظي بين المتكلم والمخاطب، وينبغي على المتكلم وهو ينتج هذا الملفوظ أن يراعي كل الشروط التي تجعله ليس فقط قابلاً لفك تشفيره من المخاطب، بل تجعله قابلاً للتأويل إلى حد اكتشاف المقصدية التي تؤطره واكتشاف المرامي الاجتماعية التي ينتجها (9).

ومن الجميل أن نحيا تراثنا الأدبي بالوقوف على خطاباته يمثل هذه الدراسات الحديثة، وقد وجدنا ملاذنا بذلك في هذه الدراسة لخطاب الرحلة ومقاصده عند ابن خلدون من خلال وقوفنا عند رحلته إلى الأندلس فقط رغم تعدد رحلاته غرباً وشرقاً لما لهذه الرحلة من خصوصية ومقاصد خاصة بابن خلدون الذي أول ما يعرف بنفسه وبعائلته يقول: ((وأصل هذا البيت من اشبيلية)) (10)، ولما يتناسب مع اختصاصنا الدقيق في الأدب الأندلسي.

إذ لمسنا لابن خلدون الاشبيلي الأصل والتونسي المولد والنشأة (11) مقاصد ما وراء خطابه الرحلي الى الأندلس ضمن كتابه (رحلة ابن خلدون)، مما دعانا إلى الوقوف عند البناء الفني لخطاب رحلته ومعماريتها، ومنهجيته السردية في طرح رؤيته لذاته وللآخرين ورؤية الآخرين

<sup>7</sup> ينظر: آليات التداولية في الخطاب - الخطاب الأدبي أنموذجاً: عبد القادر عواد، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج74، مج19، يولييه 2011م، 50-57.

<sup>8</sup> استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية، 180.

<sup>9</sup> ينظر: خطاب الرحلة - الذاكرة وآليات انتاج الدلالة: سعيد جبار، 34.

<sup>10</sup> رحلة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي المتوفى (808هـ)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، 27.

<sup>11</sup> ينظر: نفسه، 3-4، 27.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

له ، فضلاً عن وقوفنا عند الأمانة التي تطرق إلى ذكرها في رحلته محاولين استشفاف مقاصده من خلالها.

عتبات البحث:

أ) ابن خلدون وكتابه (رحلة ابن خلدون)

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي عاش من (732-808هـ) مؤسس علم الاجتماع ومؤلف كتاب التاريخ المسمى بـ (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) والذي اشتهر بمقدمته المشهورة بـ (مقدمة ابن خلدون) والتي يُذكر أنه كتبها أولاً ثم تلاها بكتابة تاريخه<sup>(12)</sup>.

وقد ألحق ابن خلدون كتابه التاريخي هذا بـ (رحلة ابن خلدون) الذي عرف بأنه جزء تابع لتاريخه وما كان يفصله عن أبواب الكتاب إلا عنوانه الذي كتبه ابن خلدون بنفسه باسم ((التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب))<sup>(13)</sup> ويقصد به كتاب العبر.

كما ورد في مخطوطة أخرى عنوان آخر له هو: (التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غرباً وشرقاً)، وفي نسخة غيرها جاء على ظهر الورقة الأولى من الكتاب (كتاب رحلة ابن خلدون بخطه رحمه الله تعالى)، وهو العنوان الذي اختاره المحقق محمد بن تاويت الطنجي<sup>(14)</sup>.

وقد ضمنه سيرته الذاتية من ذكر أصوله ونشأته ورحلاته إلى أن انتهى منه سنة 807هـ، أي قبل وفاته بعام مؤرخاً ذلك في ختامه.

ب) المخطط الرحلي لابن خلدون

من خلال تتبع الرحلات التي دونها ابن خلدون بنفسه في كتابه (رحلة ابن خلدون) من بدايته

<sup>12</sup> للتوسع ينظر: الاعلام: للزركلي: ج 3/330.

<sup>13</sup> ينظر: رحلة ابن خلدون ، 19.

<sup>14</sup> ينظر: نفسه، 20-21.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني  
"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"  
17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

إلى نهايته نستطيع تلخيصها بهذا المخطط الزمني:

تونس (732هـ)

المولد والنشأة إلى أن حل الطاعون ففقد فيه والديه وشيوخه وتعطل عن طلب العلم والتحق بوظيفة كاتب العلامة عن السلطان مرغماً فاستوحش

المغرب (753هـ)

منقرباً من السلطان أبي عنان

تلمسان (755هـ) مرافقاً للسلطان أبي عنان في مجلسه العلمي وشاهداً الصلوات معه وكاتباً له

فاس (761هـ) كاتباً للبلاط

الأندلس (764-766هـ) (الفترة موضوع الدراسة)

بجاية (766هـ)

المغرب الأقصى (674هـ)

(الأندلس 776هـ) في رحلته الثانية إليها ضمن سفر قصير لإخراج ابن الخطيب من سجنه لكنه فشل

تلمسان (776هـ)

قلعة ابن سلامة في الجزائر (776هـ) لأربع سنوات ومعه أهله حيث ألف تاريخه

تونس (780هـ) انكب على العلم والتأليف

القاهرة (784هـ) تسلم قضاء المالكية، وغرقت عائلته في البحر فتفرغ للتدريس

الحج في سفر قصير



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات



القاهرة عاش بها بقية إلى أن توفي فيها (808هـ)

وجد من خلال هذا المخطط أن ابن خلدون قد اتجه في رحلاته غرباً أولاً ثم اتجه الى المشرق العربي، ولهذا فإنه وثق مسار هذه الرحلات في عنونته لكتابه بنفسه في قوله (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، مقدماً الغرب على الشرق.

وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب كما وثق في نهايته عام (807هـ)، وكانت وفاته عام (808هـ)، وبهذا فإنه يمثل تسجيل الناظر إلى حياته الماضية والموثق لها تسجيل الحاضر، إذ كتب المهم الذي يريد توثيقه وتجاوز عما لا يود توثيقه، ولا يخفى ما للرحلات من غايات مختلفة، وعلى العموم فإن رحلات الاندلسيين تكون إما لوازع ديني مثل الحج وهي الأغلب<sup>(15)</sup>، او لوازع علمي، أو سياسي، أو اقتصادي<sup>(16)</sup>، أو سياحي، أو شخصي<sup>(17)</sup>. ولكل متجه في رحلات ابن خلدون غاية أو مقصد معين، كان في أغلبها طلب السلطة وتلافي الخلافات والهروب من المكائد مع القائمين على البلاد وفي مقدمتها رحلته الى الأندلس،

ولدراسة خطاب رحلته الأندلسية بالذات سنقف أولاً عند معماريته وكيفية تتبعه لسرد أحداثها.

- أولاً: معمارية سرد أحداث الخطاب الرحلي الأندلسي عند ابن خلدون:

لا يخفى ما تحويه الرحلات من المعارف والمدونات التي تعكس ما اطلع عليه الرحالة من أحوال العباد والبلاد، فضلاً عما يضيفه أدب الرحلات من قيم أدبية تدمج الواقع بالخيال وتعتني بصياغة الجمل وتراكيبها بأساليب تقنع المتلقي، حتى أضحت أدب الرحلة فناً قائماً بذاته،

<sup>(15)</sup> تشير المصادر الى وجود منطقة في غرناطة تسمى بـ (حوز الوداع) لكثرة عدد المسافرين حيث يودعهم الالهل والاحباب ؛

ينظر: ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري: د. نوال عبد الرحمن الشوابكة، 188.

<sup>(16)</sup> ينظر: ادب الرحلات: د. حسين محمد فهمي، 199.

<sup>(17)</sup> ينظر: ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، 17.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني  
"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

كثيراً ما تتخلله فنوناً أدبية أخرى كالمخاطبات والمساجلات والأشعار وغيرها، ومنهم الرحالة المغاربة والأندلسيين الذين اختطوا هذا النهج في خطاباتهم الرحلية (18).

وتكمن جمالية الخطاب الرحلي في طرح التراكمات المعرفية المختلفة وتفاعلها فيما بينها بنوع من التوليف المتناغم لتقديم ما يصطاح عليه الدكتور سعيد جبار (نصاً رحلياً) يحاول من خلاله الأديب الرحالة ربط الواقع بالخيال كما يرسم مقصديات مضبوطة لربط جسر التواصل مع المتلقي على مر الأزمنة (19).

اعتمد الرحالة الأندلسيون والمغاربة عامة محاور البناء الفني الأساسية للرحلات، ألا وهي المقدمة والعرض والخاتمة، بادئين بالمقدمة حيث تبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، والعرض يأتي بعد التمهيد، حيث توظف الرحلات الأساليب والتعابير لإبراز الموضوع أو الهدف، ثم تليها الخاتمة إذ يختم معظم الرحالة رحلاتهم بالحمد والصلاة على محمد وآله وصحبه، ويحدد بعضهم الزمن الذي استغرقت رحلته من لحظة الخروج الى لحظة الإياب (20).

أما بالنسبة لابن خلدون فقد وثق رحلاته جميعها في كتاب موحد متبعاً منهجاً سردياً مميزاً في ذكرها، ممازجاً التعريف بنفسه مع تدوين رحلاته، إذ ابتدأ فيه من بدء رحلة حياة أسلافه وأصولهم الإشبيلية ونسبهم الحضرمي ملحاً على ذكر مآثرهم في الأندلس ثم انتقلهم الى تونس عنوة بعد سقوط اشبيلية، وولادته سنة 732 هـ بتونس ونشأته فيها وتعلمه وكيف حل الطاعون بها وهلك والداه والكثير غيرهم، ولكنه ظل ملازماً لشيوخه الذين اهتموا به لما يملكه من براعة في العلم والأدب قريته من السلاطين، فتنقل بينهم كاتباً ومستشاراً متنقلاً من بلد إلى آخر من بلدان المغرب العربي مثل بجاية وبسكرة وتلمسان ثم اختار الأندلس محطة له بعد أن مهد لذلك بأحداث وتوصيفات استباقية كذكره في التعريف بنفسه بعد عنوان (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) وفي أول استفتاحه للكتاب : (( وأصل هذا البيت من إشبيلية، انتقل سلفنا عند الجلاء وغلب ملك

<sup>18</sup> ينظر: نفسه، 104.

<sup>19</sup> ينظر: خطاب الرحلة - الذاكرة وآليات الإنتاج، 10-11.

<sup>20</sup> ينظر: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية: 297 - 298.





جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

الجلالقة ابن أذفونش عليها - إلى تونس في أواسط المائة السابعة))<sup>(21)</sup> ثم يطيل الحديث عن نسبه ذاكرةً خلاله إشادة ابن حزم ببني خلدون في الأندلس ودورهم، حتى أنه قال عن جدين من أسلافه أنهما (( كانا من أعظم ثوار الأندلس))<sup>(22)</sup>.

كما أفرد عنوان (سلفه بالأندلس) مستطرداً فيه بالحديث عن أجداده ومآثرهم فيها وما قاله المؤرخون والنقاد عنهم والأسباب التي أرغمتهم على النزوح إلى أفريقيا<sup>(23)</sup>.

وحتى في حديثه عن وجوده وأهله في أفريقية فإنه لا يغفل ذكر الأندلس وتعلقه بها من خلال ذكره مثلاً لأفضل أساتذته الذين تتلمذ على يدهم في تونس الذين كانوا أندلسيين الأصل والعلم<sup>(24)</sup> وحتى بعد أن اشتد عوده وأصبح كاتباً للسلطان كان الكثير ممن تعرف عليهم أثناء عمله من كبار رجالات الأندلس وعلمائها الذين يعترف بأنه كثيراً ما أخذ العلم منهم<sup>(25)</sup>، وهذا ما أدى إلى اختياره الأندلس ملاذاً له بعد أن ساءت أوضاعه مع سلطان تونس ومن بعده سلطان بجاية صارفاً أولاده وأمهم إلى أحوالهم في قسنطينة.

ثم يمهد لوصوله إلى الأندلس برسائل يبعثها إلى السلطان ابن الأحمر ووزيره لسان الدين ابن الخطيب يعلمهم بمجيئه إليها، ويعانون بالمقابل ترحيبهم به برسائل شعرية ونثرية مطولة يبعثونها له<sup>(26)</sup>.

ثم يذكر أحداث مكوته في غرناطة من أول وصوله وكيفية استقباله وإبداء الحفاوة له وذكر أبرز الأحداث والمناسبات التي تخللت رحلته تلك مثل سفارته إلى الطاغية ملك قشتالة ممثلاً للأندلس ومتحاوراً معه بشأنها إذ كان اللقاء معه في إشبيلية موطن أجداده وهو يفصح عن بواطن

<sup>(21)</sup> رحلة ابن خلدون، 27.

<sup>(22)</sup> نفسه، 28.

<sup>(23)</sup> ينظر: نفسه، 29-32.

<sup>(24)</sup> ينظر: نفسه، 36.

<sup>(25)</sup> ينظر: نفسه، 67.

<sup>(26)</sup> ينظر: نفسه، 83-84.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

نفسه التواقفة إلى ذلك المكان (27)، كذلك حضوره للمولد النبوي وإلقائه قصائد بتلك المناسبة (28)، فضلاً عن ذكر حضوره ومشاركته للسلطان ابن الأحمر في احتفاليته بإعذار (ختان) ولديه وإلقائه قصيدة بهذه المناسبة، وصولاً إلى بيان اطمئنانه واستقراره بهذا المكان وجلب أولاده ليكونوا معهم وترحيب ابن الخطيب بهم<sup>(29)</sup>.

ثم يوضح سبب عدوله عن الأندلس ومغادرته لها بما كاد له الأعداء من مكائد عند لسان الدين ابن الخطيب بحيث شعر بالغيرة تجاهه لما لقيه من حظوة عند السلطان ابن الأحمر مما حدى بابن خلدون إلى مغادرة البلاد متجهاً إلى بجاية ومن بعدها إلى غيرها من البلدان إلى أن استقر بالقاهرة وتوفى بها، مؤكداً ابن خلدون خلال الكثير من رحلاته التي تلت الأندلس على تعلقه بها وبرجالاتها القائمين عليها من خلال مراسلاتهم معه النثرية والشعرية التي وثقها في كتابه هذا وفي مقدمتهم لسان الدين ابن الخطيب والسلطان ابن الأحمر والوزير ابن زمرك والقاضي أبو الحسن البني (30)، وقد وجدنا أن ابن خلدون في رحلته هذه يحن إلى ماضيه وعز أجداده في الأندلس، وكأنه يحيا في هذا الماضي ويجد نفسه فيه، وهو ما يسمى بعلم النفس بمصطلح (النوستالجيا) (31)، وأن سرده للأحداث جاء مختصراً ملخصاً لأهمها دون سرد حيثياتها الدقيقة ودون إدلاف الخيال ومزجه بالواقع، وبلغة سهلة سلسلة مفهومة من المتلقي، يطغى ذكر الأفعال في جملها الدالة على الحركة المستمرة المصاحبة لتلك الرحلة ونشاط ابن خلدون بها ليمرر نفسه ويعيد أمجاد أسلافه بها، ويلح ضمنها على ذكر علاقته بوزيرها لسان الدين ابن الخطيب ومن بعده السلطان ابن الأحمر، وكأنه لم يقابل غيرهما كما يسود حديثه عن هذه الرحلة ذكر النصوص

<sup>(27)</sup> ينظر: رحلة ابن خلدون 85-86.

<sup>(28)</sup> ينظر: نفسه، 86-90.

<sup>(29)</sup> ينظر: نفسه، 90.

<sup>(30)</sup> ينظر: نفسه، 118، 210، 135، 218.

<sup>(31)</sup> ينظر في الوقوف عند مصطلح (النوستالجيا) لغة وتاريخاً وفي المجال الطبي والنفسي: (ما هو مصطلح النوستالجيا): شروق مصطفى موقع (المرسال) almrsl.com ؛ وينظر: (توظيف النوستالجيا في بناء الرسالة الإعلانية) (دراسة على الإعلان التلفزيوني بمصر): أ.د. لمياء عبد الكريم قاسم، م.د. إلهام عبد الرحمن إبراهيم، إيمان جمال محمد، مجلة العمارة والفنون، ع 10، 484-487.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

الأدبية المتبادلة بينهم، وربما يعود ذلك على اهتمام الأندلسيين بالأدب آنذاك بشكل مميز عن البلدان الأخرى، ونلمس أن من مقاصد ابن خلدون المتعمدة في ذكره لهذه الرحلة توثيقه للنصوص الأدبية التي تخللتها، ولم يكن ابن خلدون بدعاً في توثيق النصوص الأدبية التي تخللت حديثه عن رحلاته، وإنما هو نمط متعارف في الكثير من أدب الرحلات<sup>(32)</sup>، وقد أجاد ابن خلدون في التوليف المتناوب لسرد أحداث الرحلة مع ذكر النصوص الأدبية الشعرية والنثرية التي تعلقت بتلك الأحداث دون أن يشعر المتلقي بإقحامها إلى حديثه عن رحلاته ومقصدية في توثيقها، وأكثر الأساليب التي استخدمها ابن خلدون في خطابه الرحلي هذا كان أسلوب الخبر الذي يعده الجرجاني من أكثر الأساليب التي تعبر عن المقصدية في قوله: ((إن الخبر) وجميع الكلام معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه، ويُصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا (الخبر) فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة))<sup>(33)</sup>.

ثانياً: رؤية ابن خلدون للشخصيات ورؤيتهم له في خطابه الرحلي الأندلسي

وجدنا من خلال الاطلاع على كتابات ابن خلدون عامة وكتاب (رحلة ابن خلدون) الذي وثقه آخر حياته بخاصة أن رؤيته لذاته كانت بين إثبات الوجود والمكانة المتميزة غالباً وبين التواضع أحياناً.

فالسيرة الذاتية الرحلية التي يؤرخها الرحالة كان أغلبهم يوثقها بعد مرور فترة من رحلاتهم، ومنهم ابن خلدون، وذلك بعد الإحساس بدنو الأجل ومكانة هذه الرحلات وضرورة توثيقها، إذ لا يوثق الإنسان سيرته الذاتية إلا بعد يقينه بتفردّه وتميزه حتى تكون سيرته جديرة بعناية الآخرين<sup>(34)</sup>، وهذه مقصدية مهمة من المقاصد التي وجدناها في الخطاب الرحلي لابن خلدون.

<sup>(32)</sup> ينظر: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، 176.

<sup>(33)</sup> كتاب دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، تح: محمود شاكر، ج2/ 528.

<sup>(34)</sup> ينظر: سيرة الغائب سيرة الآتي: شكري المبخوت، 105.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني  
"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

كما نجد التفاخر بأسلافه ومآثرهم حينما كانوا بالأندلس، فضلاً عما أشار إليه مما يمتلكه من براعة في الكتابة وجمال الخط بحيث تصطفيه السلاطين للكتابة، من ذلك ذكره لشيخه بتونس الذين قربوه من السلطان وهو ما يزال في شبابه ليصبح كاتب العلامة للسلطان، وقد عرّف بهذه المهنة ذاكرةً اهتمام الحكام به في قوله: ((وأداني منه، فكتبْتُ العلامة للسلطان، وهي وضع (الحمد لله والشكر لله) بالقلم الغليظ، مما بين البسمة وما بعدها، من مخاطبةٍ أو مرسوم)). (35).

فمن هذا النص نستشف عدة مقاصد لابن خلدون تفصح عن رؤيته لذاته منها:

- تميزه الأخلاقي العلمي الذي أدى إلى اهتمام شيوخه به واصطفائهم له وتزكيتهم عند سلطان البلاد ليمتهن هذه المهنة.
- بيان ما كان يملكه من براعة لغوية وأسلوبية وجمال خط وهو في ريعان شبابه.
- من خلال تعريفه بهذه المهنة التي امتنها تتوضح مقصديته في توثيقها كونها نسقاً ثقافياً سياسياً وأدبياً لتلك البلاد متعارف عليه.

ومن هذه المهنة ولج ابن خلدون باكرًا إلى الخطوة الأولى في الكتابة والتقرب من السلاطين، وقد ورد ضمن تعريف ابن الأحمر به ((وهو إذ ذاك شابٌ صغيرٌ)) (36)، ليصبح بعدها أيضاً كاتبًا للسلطان أبي عنان الذي استدعاه إلى فاس بعد أن زكّوه له وذكروه ووصفوه من لقيهم ابن خلدون في تونس موثقًا ذلك في قوله: ((فقدمتُ عليه سنة خمس وخمسين، ونظمني في أهل مجلسه العلمي، وألزمني شهود الصلوات معه، ثم استعملني في كتاباته، والتوقيع بين يديه، على كرهٍ مني، إذ كنتُ لم أعهد مثله لسلفي)) (37).

(35) رحلة ابن خلدون، 65.

(36) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب (نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان): للأمير الأندلسي

الغزناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت807هـ)، 297.

(37) رحلة ابن خلدون، 67.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

(17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

فتبيّنت من خلال هذا النص وما سبقه رؤية الناس والسلطان له ومكانته المرموقة عندهم، فقد نقل المقربون من السلطان ما وجدوه من براعة لابن خلدون في الكتابة والتعامل مما حدى به إلى استدعائه دون غيره من بلاد أخرى ليكون كاتباً له (ضاماً إياه في مجلسه العلمي)، مثبتاً ابن خلدون من خلال هذا التوثيق مكانته العلمية، و(مصاحباً له في صلواته)، ليثبت ابن خلدون من خلال هذا القول مكانته الدينية أيضاً وهو الذي تباينت الدراسات والبحوث حول أثر الإسلام في كتاباته بين تهميش ذلك الأثر من خلال دراسات غير المسلمين لها وتوثيق أثره ومداركه في طروحاته في دراسات المسلمين لكتاباته ومن أبرزهم الدكتور عماد الدين خليل في كتابه (ابن خلدون إسلامياً)<sup>(38)</sup>.

وفي قوله: (ثم استعملني في كتاباته...) وظف أداة العطف (ثم)، وهي من أدوات الربط النصي تفيد الترتيب مع التراخي<sup>(39)</sup> ليوصل للمتلقي أنه قد اطمأن له السلطان علماً وتديناً ثم عينه كاتباً له.

ثم أردف ذلك بقوله: (على كرهٍ مني) مبدياً رؤيته لما آل إليه ومعللاً ذلك بقوله: (إذ كنتُ لم أعهد منه لسلفي)، فلم يكن أسلافه من كتّاب السلاطين، وهي مهنة رغم أهمية القائمين عليها لكنه لم يرغب بها في بداية الأمر لأنها لم تكن مهنة أسلافه، وقد أشار في مقدمته إلى أنها من المهن التي كانت متوارثة ويختص بها ذوو السلطان وذلك في قوله: ((كان الكاتب للأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء القبيلة، كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم و خلوص أسرارهم، فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه))<sup>(40)</sup>. ولكنه يثبت بعد ذلك تغير نظرته لها لأنها لبثت رغبته في مجالسة العلماء والشيوخ إذ يكمل ذلك الكلام بقوله: ((وعكفتُ على النظر، والقراءة ولقاء المشيخة، من أهل المغرب، ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض الزيارة، وحصلتُ من الإفادة منهم على البغية))<sup>(41)</sup>.

<sup>(38)</sup> ينظر كتاب: ابن خلدون إسلامياً: د. عماد الدين خليل، نشر المكتب الإسلامي، 1403هـ-1983م.

<sup>(39)</sup> ينظر: كتاب دلائل الإعجاز، 172؛ وينظر: في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقرارات: إبراهيم خليل، 228-229.

<sup>(40)</sup> مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)، 279.

<sup>(41)</sup> رحلة ابن خلدون، 67.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

فنرى ابن خلدون يعبر عن خلجات نفسه في خطابه ويعترف بتقلب مزاجه ونظرته للأمور بحسب ما ينفعه ويرضيه رغباته، فحين وجد من هذه المرافقة للسلطان تلبية لرغبته في الاستزادة من العلم ومجالسة الشيوخ اطمأن لامتحان هذه المهنة وأحبها، مركزاً على ذكر فائدته من شيوخ المغرب الذي يعيش فيه، والوافدين من الأندلس لما كان من تطلعه إلى هذه البلاد ملاذ المتعلمين وموطن أسلافه واستشراقاً لما سيذكره لاحقاً من ذهابه إليها، ويعد (الاستشراف) تقنية زمنية تتخلل السرد لتخبر صراحة أو ضمناً عن أحداث سيشهدها السرد في وقت لاحق (42).

كما نجد في الخطاب الرحلي لابن خلدون تعليقات لرحلاته من بلد إلى آخر يود من خلالها إقناع المتلقي بصواب قراراته، وقد أثبت أن أغلب رحلاته كانت نتيجة المكائد والمؤامرات التي تحاك ضده من المقربين للسلطين غير وحسدًا، ومنها أسباب رحلته إلى الأندلس، ورحلته عنها (43)، إذ يذكر في التمهيد لرحلته إلى الأندلس وتركه السلطان أبو سالم بفاس رغم ما كانت له من مكانة في كتابة سره والترسيل عنه، والإنشاء لمخاطباته، أن من أسماء (ابن مرزوق) - الذي لم يُعرّف به - قد تقرّب من السلطان واختصه لنفسه وخلق المكائد له ولغيره فيقول: ((فانقبضت وقصرت الخطو مع البقاء على ماكنت فيه من كتابة سرّه وإنشاء مخاطباته ومراسمه.... ولم يزل ابن مرزوق آخذاً في سعايته بي وبأمثالي من أهل الدولة، غيراً ومنافسةً إلى أن انتقض الأمر على السلطان بسببه)) (44).

فيعلن في هذا النص عن علو مكانته ومحاظته على هذه الرفعة من خلال أمانته في العمل، ويعد نفسه من كبار الدولة في قوله (بي وبأمثالي من أهل الدولة)، خاصاً لفظ (أهل) لدلالة الاحتواء والشعور بالمسؤولية، بينما يغفل التعريف بمن يعادونه غالباً مثل ابن مرزوق هذا ربما لعدم رغبته بتخليد ذكركم في كتاباته، كما نجده يعبر عن انفعالات نفسه وخلجاتها لبعده زمن التوثيق عن زمن الحدث لأنه كان يراعي في وقته القائمين على الحكم في أقواله وأفعاله رغم عدم رضاه عن الكثيرين منهم، ونجده في موقع آخر يلوم نفسه لعدم مجاراته الحكام في كلامه معهم حيث يقول:

(42) غائب طعمة فرمان روائياً: فاطمة عيسى جاسم، 139.

(43) ينظر: رحلة ابن خلدون، 80، 91.

(44) ينظر: نفسه، 80.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

((وكانت قد حصلت بيني وبين الأمير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة، أحكمها ما كان لسلفي في دولتهم، وغفلت عن التحفظ في مثل ذلك، من غيرة السلطان)) (45)، فذكر كلمة (كانت) للتأكيد على فعل هذا الأمر في الماضي، وقوله قد(غفلت عن التحفظ في مثل ذلك) يظهر ندمه على ذلك التصرف مع السلطان وهي تمثل نظرة المستنكر للأحداث الماضية المستطلع لمسلسل أحداث حياته.

ولما قرر الرحلة إلى الأندلس نجده أول ما استفتح الحديث عنها ذكره لعائلته إذ قال: ((ولما أجمعت الرحلة إلى الأندلس، بعثت بأهلي وولدي إلى أحوالهم بقسنطينة، وكتبت لهم إلى صاحبها السلطان أبي العباس، من حفدة السلطان أبي يحيى، وأني أمر على الأندلس، وأجيز إليه من هنالك)) (46)، فللرحلة والسفر تقاليد وآداب في التراث العربي الإسلامي، من أولها تأمين حال الأهل أثناء سفر ولي الأمر إلى حين عودته مادياً ومعنوياً والدعاء بحفظهم (47)، فوجد ابن خلدون هنا يبعثهم إلى قسنطينة عند أحوالهم حيث كانت زوجته ابنة أحد رجالها المرموقين، ولم يكتف بذلك وإنما أوصى عليهم حاكم البلاد، فابن خلدون في هذا الطرح أثبت نسب وزوجه وأحوال أولاده الذين كان يفخر بهم، ولا يخفى في أن تزويجه منها فخر له ويقضي الإشارة إلى رقي مكانته أيضاً، حتى أنه يغفل في كتابه هذا (رحلة ابن خلدون) ذكر زوجته الأندلسية التي تزوجها في الأندلس إذا كان خبر زواجه منها صحيحاً إذ لم نجده إلا في كتاب (أدب الرحلات الأندلسية والمغربية) (48)، ولا يفصل في ذكر أبنائه وعائلته وأحوالهم أثناء حديثه عن رحلاته إلا في القليل النادر، وقد ذكر حنينه إليهم أثناء رحلته إلى الأندلس مما سبب استقدامهم إليها، إذ قال: ((ولما استقر واطمأنت الدار، وكان من السلطان الاغتياب والاستئثار، وكثر الحنين إلى الأهل والتذكار، أمر باستقدام أهلي)) (49)، فابن خلدون يتحدث عن نفسه بضمير الغائب (هو) فاعل (استقر) وهو

(45) نفسه، 73

(46) رحلة ابن خلدون، 83.

(47) ينظر: أدب الرحلات، 89-94.

(48) ينظر، 190.

(49) رحلة ابن خلدون، 90.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

التفات مميز في سرد أحداث الماضي سرداً موضوعياً وهو ينظر إلى حاله من بعيد زماناً ومكاناً ، وأوحى إلى مدى قربيه من السلطان الذي كان مغتبطاً ومستأثراً به ومراعياً لمشاعره فأمر باستقدام أهله، وهو ليس بالأمر الهين أن يصدر أمر من السلطان بذلك، كما نلمس أسلوب ابن خلدون الاستعطافي واضحاً في هذا الموقف الذي يعبر عن هواجس نفسه من خلال توظيفه للموسيقى الداخلية التي تجذب النفوس وتثيرها من خلال توظيفه السجع في: (الدار، الاستئثار، التذكار) ليثير مشاعر المتلقي وينقل إليه أحاسيسه المتلهفة لرؤية أهله، ولاشك أن الحديث عنهم مما يثير عاطفة أي متلقٍ لأنه شعور إنساني متأصل في النفس. ونجد ابن خلدون يختصر التفاصيل الدقيقة المتعلقة برحلتهم هذه ويسرع بذكرها.

وفي خطاب رحلته إلى الأندلس ألح في بيان عظمة مكانته فيها وكأنه يعيد أمجاد أجداده بها، إذ نلمس ذلك أيضاً من خلال ذكره إرسال الرسائل الترحيبية به من السلطان ووزيره لسان الدين ابن الخطيب، وكذلك في ذكره قبلهما كبير سبته الذي مرّ به أثناء متجهه إلى الأندلس، مسهباً في التعريف به في ستة عشر سطرًا ثم يذكر اهتمامه به، من ذلك قوله: ((ولما مررتُ به سنة أربع وستين، أنزلني بيته إزاء المسجد الجامع، وبلوت منه ما لا يقدر مثله من الملوك، وأركبني الحزّاقة ليلة سفري يباشر دحرجتها إلى الماء بيده، إغراباً في الفضل والمساهمة)) (50).

نلاحظ أن ابن خلدون من خلال هذا الوصف لشخصية سلطان سبته يوظف أسلوب (الاقضاء) الذي يعد من أهم مفاهيم التداولية وهو (( أن يقدم المرسل تفسيراً صريحاً لمقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر مما يعبر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة)) (51)، فهو يبالغ من خلال هذا الوصف في بيان تواضع السلطان له بحيث ينزله في بيته ويركبه الحزّاقة التي يقصد بها سفينة صغيرة تستعمل للنزهة، ويدحرجها بنفسه إلى الماء، وهذا يقنضي بالمقابل بيان رفعة مكانة ابن خلدون، وقد أدرك مبالغته هذه وعدم تقبل المتلقي لهذه الأمور فاستخدم أسلوباً مميزاً للإقناع في بيان استغرابه هو من هذا الأمر من خلال قوله (وإبلوت منه ما لا يقدر مثله من الملوك) ويؤكد أيضاً استغرابه بقوله (إغراباً في الفضل والمساهمة).

(50) رحلة ابن خلدون، 84.

(51) الإقضاء في التداول اللساني: عادل فاخوري، عالم الفكر، ع3، أكتوبر 1989م، 141.





جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

ومما استوقفنا في خطابه الرحلي هذا أيضاً إطالة وقوفه عند التعريف بسلطان سبته مثلاً أو غيره من الشخصيات التي قابلها في رحلاته وأبدت تعاوناً معه في تلبية رغباته ومقاصده الشخصية، بينما يُغفل أو يختصر التعريف بغيرهم ممن لم ينفعوه ويذكر أسماءهم عرضاً دون الوقوف عند حيواتهم ومنجزاتهم، وهو بهذا النهج لا نعهده سارداً ومؤرخاً موضوعياً.

وفي خطاب رحلته إلى الأندلس نجده يلح في بيان تواصله الأدبي مع السلطان ابن الأحمر وابن الخطيب وزير غرناطة مبيئاً كثرة احتفائهما به، وبراعتهما اللغوية والأدبية التي تتضح من خلال تبادل الرسائل الشعرية والنثرية معهما قبل رحيله إلى الأندلس وأثناء مكوثه فيها وبعد مغادرته الأندلس مما يمثل كنزاً أدبياً آثرنا الوقوف عنده في بحث خاص لم ينشر بعد، لكننا لم نجد في حديثه عنهما رغم إلحاحه على ذكر علاقته معهما ذكراً مفصلاً للتعريف بأصلهما ونسبهما وبأوصافهما الخلقية أو ملبسهما وما شاكل، وإنما يذكر الصفات المعنوية التي تعلي من شأنهما وإكرامهما له وبالتالي إعلاء شأنه هو، مثل قوله في حسن استقبال السلطان ابن الأحمر له في الأندلس: ((وقد اهتز السلطان لقدمي، وهياً لي المنزل من قصوره، بفرشه وماعونه، وأركب خاصته للقائي، تحفياً وبراً ومجازةً بالحسنى، ثم دخلت عليه فقابلني بما يناسب ذلك، وخلع علي وانصرف))<sup>(52)</sup> فإنه يمعن في بيان منزلته عند السلطان ابن الأحمر بحيث يهتز لقدمه، واصفاً مشاعر (الأخر) السلطان تجاهه وصفاً مميزاً لبيان إكرامه له وحسن ضيافته مركزاً على المعنوي من الأوصاف دون المادي كغيره من أوصاف الرحالة، وموضحاً في الوقت ذاته مقصدية أعم من مقاصده في بيان احتفاء حكام الأندلس بالعلماء والأدباء والمؤرخين آنذاك الذين يعد ابن خلدون في مقدمتهم فضلاً عن أنه له تاريخ متجذر في الأندلس من خلال استمداد مآثر أجداده فيها وبطولاتهم، كل تلك المقاصد يمكن أن نستشفها من هذا النص، فلكل فعل كلامي غاية للتوصيل والإبلاغ وقصد مخطط له فيما وراء لغة ذلك النص<sup>(53)</sup>، وقد مدح ابن خلدون ولدي السلطان وذكر عدداً

<sup>(52)</sup> رحلة ابن خلدون، 85.

<sup>(53)</sup> ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: محمد الأخضر الصبيحي، 96-97.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

من أوصافهما ملحاً على المعنوي منها أيضاً في بضعة أبيات شعرية أثناء مكوثه في الأندلس في قصيدة يذكر بها إغدار (ختان) ولده والاحتفال بهذه المناسبة<sup>(54)</sup>.

وكذا الحال بالنسبة للوزير ابن الخطيب صديقه الحميم الذي ذكره ابن خلدون بعد ذكره للسلطان ابن الأحمر رغم قربه من نفسه مراعيًا المقام والسياق الثقافي وتقبل المتلقي لما ألف من تقديم السلطان على حاشيته لأنه وكما يقول دي بوجراند: ((ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهذه البنية الشاسعة تسمى سياق الموقف))<sup>(55)</sup>، إذ يثني بذكر ابن الخطيب في قوله مكملاً النص السابق: ((وخرج الوزير ابن الخطيب فشيئاً إلى مكان نزلي، ثم نظمني في عليّة أهل مجلسه، واختصني بالنجى في خلوته، والمواكبة في ركوبه، والمواكلة والمطايبة والفكاهة في خلوات أنسه، وأقمت على ذلك عنده))<sup>(56)</sup>.

فنجده أيضاً يصفه بالصفات المعنوية التي تدل على مكانته المرموقة في الدولة وماله من مجلس يجتمع فيه كبارها وتمتعه وترفه في حياته من المطايبة والفكاهة في خلوات أنسه، وانعكاس ذلك على ابن خلدون من خلال علاقته به وتقريبه منه، ذلك الذي ابتغى ابن خلدون قصده وتوصيله للمتلقي في بيان مكانته هو في الأندلس طوال مكوثه فيها من خلال قوله (وأقمت على ذلك عنده) ولا يخفى ما في ذكره (عنده) من دلالات ومقاصد تشير إلى خصوصية المكانة فضلاً عن الاحتواء، حتى أنه حين سعى الواشون بينه وبين ابن الخطيب لما آلت إليه مكانته عند ابن الأحمر فإنه تصرف بسياسة وأثر الرحيل عن الأندلس رغم اطمئنانه بها كي لا يخسر صداقته لابن الخطيب، إذ يقول في بيان سبب رحيله عن الأندلس: ((ثم لم يلبث الأعداء وأهل السعيات أن خيلوا للوزير ابن الخطيب من ملابسته للسلطان، واشتماله علي، وحزركوا له جواد الغيرة فتنكروا وشممت منه رائحة الانقلاب، مع استبداده بالدولة، وتحكمه في سائر أحوالها، وجاءتني كتب السلطان أبي عبد الله صاحب بجاية، بأنه استولى عليها في رمضان خمس وستين. واستدعاني

<sup>(54)</sup> ينظر: رحلة ابن خلدون، 88-89.

<sup>(55)</sup> النص والخطاب والإجراء: ترجمة تمام حسان، 91.

<sup>(56)</sup> رحلة ابن خلدون، 86.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

(17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

إليه، فاستأذنت السلطان ابن الأحمر في الارتحال إليه، وعميت عليه شأن ابن الخطيب إبقاءً لمودته...))<sup>(57)</sup>، ففي النص تكثيف للأحداث وتسريع في سردها دون ذكر تفاصيلها، مركزاً في خطابه على خوالج النفس وهواجسها بالنسبة له وللآخر ابن الخطيب وللواشين بينهما بتوظيفه: (خيلوا للوزير، ملابسته للسلطان، اشتماله علي، حركوا جواد الغيرة، شممت رائحة الانقباض، عميت عليه)، كما نجد بروز الأسلوب الأدبي في هذا النص لما يتضمنه من تجسيد المعنوي بالمادي، مثل (حركوا له جواد الغيرة) مصوراً أثر الغيرة وثورتها في النفس من خلال تشبيهها بجماح الخيل، وكذلك في قوله (وشممت منه رائحة الانقباض) مجسداً التعبير النفسي للانقباض من خلال تصويره الحسي بأن له رائحة أوحى للمتلقي بمقتها، كما أنه بذكره لفظة (عميت) جسد المعنوي أيضاً في أنه لم يذكر للسلطان السبب الرئيس لمغادرته، وهو بهذا التصرف الحكيم أبقى على تواصله مع ابن الخطيب إلى أن قتله تلميذه ابن زمرك بأمر من السلطان بعد تمرده وسجنه الذي كان سبباً لزيارة ابن خلدون للأندلس ثانية سنة 776هـ كي يتوسط له في إخراجة من السجن والصفح عنه لكنه لم يوفق<sup>(58)</sup>، وهو بهذا يظهر سياسته في التعامل مع الآخر الصديق حتى وإن تبدل طبعه معه وعاداه، وكذلك مع الواشين الذين كادوا له فلم يذكر رده عليهم.

ومن ضمن ما يتعلق برؤيته للآخر المعادي أيضاً فيمن ذكره ضمن رحلته للأندلس نذكر ما أورده من شأن ملك قشتالة ابن أذفونش الذي قابله ممثلاً لحكام الأندلس وبتزكية من ابن الخطيب إذ يقول متمماً للنص السابق: ((وسفرت عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ، بطره بن الهنش ابن أذفونش، لإتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدو، بهدية فاخرة، من الثياب الحرير، والجياد المقربات (59) بمراكب الذهب الثقيلة، فلقيت الطاغية بإشبيلية، .... وعاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه))<sup>(60)</sup>.

<sup>(57)</sup> رحلة ابن خلدون، 91.

<sup>(58)</sup> ينظر: نفسه، 185-187.

<sup>(59)</sup> الجياد المقربات: التي تقرب ولا تترك بعيدة كي لا يلحقها فحل غير جيد النسب فتذهب أصالتها وجودتها.

<sup>(60)</sup> رحلة ابن خلدون، 85.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

فمنستشف من هذا النص عدة مقاصد لابن خلدون يبطنها ما وراء الظاهر من ألفاظه مستخدماً في خطابه الأسلوب التاريخي في توثيق الأحداث الواقعية لهذه السفارة المهمة، إذ يوثق زمانها في سنة 765هـ، أي بعد وصوله إلى الأندلس بعام واحد فقط، وهذا يدل على الحظوة التي لقيها في الأندلس ضمن هذه الفترة القصيرة بحيث أنه يمثل حكامها بعقد صلح مع حاكم الإفرنجية، كما أن في ذكره لقب (الطاغية) وتكراره لأذفونش ملك قشتالة يوضح ما يكتنه له من كره وحقد لما عُرف عنه من معاداته للإسلام والمسلمين في الأندلس، وعُرف باقتران اسمه بهذا اللقب عند الأدباء والمؤرخين الأندلسيين مثل ابن الخطيب والمقري وغيرهما<sup>(61)</sup>، وأفصح ابن خلدون عن كرهه له في خطابه الرحلي هذا رغم ما لقيه منه من الإكرام وحسن المعاملة إذ وصفه (بما لا مزيد عليه) لتأكيد ذلك، حتى أنه قد التقاه في (إشبيلية) التي يبدو أن الطاغية تعمدها ليكسب ود ابن خلدون ويقربه منه إذ أنها موطن أجداده، وأهداه أراضٍ فيها رفضها ابن خلدون ربما لتدينه وعدم رضاه بأن يتقبل الهدايا ممن عادى المسلمين وهو الذي وصفه ابن الأحمر في كتابه نثير الجمان بأنه ((الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى))<sup>(62)</sup>، أو ليكبح يرفضه مطامع الأذفونش فيه، أو لأنه عدها رشوة منه ليميل إليه في حكمه وهو يعقد معه عقد الصلح نيابة عن ملوك العدو.

كما نجد لابن خلدون مقصدية تاريخية أخرى في هذا النص حيث وثق فيه عرفاً من أعراف أهل الأندلس في سفاراتهم بأخذهم أعلى الهدايا وأفخمها للحكام المسافرين إليهم حتى وإن كان من أعدائهم مفضلاً في أنواع الهدايا التي يصفها بالفخمة المقدمة له والتي تشمل الثياب الحريرية والجياد الأصيلة المعروفة إلى هذا اليوم في الأندلس ومراكب الذهب الثقيلة، وفي المقابل قد أهداه ملك قشتالة عدة هدايا مقابل تلك فيقول عن إكرامه له حين رحيله: (( ولم يزل على اغتباطه إلى أن انصرف عنه، فزودني وحمّاني، واختصني ببغلة فارهة، بمركبٍ ثقيلٍ ولجامٍ ذهبيين، أهديتهما إلى السلطان، فأقطعني قرية إلبيرة من أراضي السقي بمرج غرناطة، وكتب بها

<sup>(61)</sup> ينظر على سبيل المثال: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري(ت1041هـ)، ج4/ 404-405، ج6/ 165-

166. وينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: تحرير د. سلمي الخضراء الجيوسي، بحث: الأندلس وشمال أفريقيا في

عقيدة الموحدين: مادلين فليتشتر، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ج1/ 397.

<sup>(62)</sup> أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان، 297.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

منشوراً)) (63). ففي قوله: (فزودني وحملني) تدل على جنسين من الهدايا التي استقبلها من الطاغية ملك قشتالة رغم كرهه له ومعاداته للإسلام لكنه رجل سياسة ويمثل ملوك الأندلس في سفارته هذه له، فتقبلها منه أمامه، وكلمة (زودني) تدل على الهدايا الخاصة له، وكلمة (حملني) تدل على الهدايا التي أهداها للآخرين وحملها ابن خلدون ليوصلها لهم، لا كما فهم محقق الكتاب محمد بن تاويت الطنجي بأن كلمة حملني تعني (أعطاني ظهرًا أركبه)<sup>(64)</sup>؛ لأنه يلحق ذلك بقوله (واختصني ببغلة فارهة) فالشيء لا يعطف على نفسه، وتعني أن الهدايا التي له وليس للسلطان هي (بغلة فارهة بمركبٍ ثقيل ولجام ذهبيين)، والتي يوثق هنا أنه لم يأخذها لنفسه وإنما أهداها للسلطان في الأندلس، ولم يفصح عن سبب ذلك، ولكن يبدو أنه متأثر من موقفه المعادي للطاغية الذي أبطنه في مقابلته له، فعوضه السلطان عنها وعن نجاحه في سفارته تلك عامة بقربة البيرة التي أهداها له ووثق ذلك بمنشور رسمي، فاختيار ابن خلدون السياسي في تعامله دون غيره لهذه السفارة وغيرها كان موفقًا ويعد عاملاً مهماً من عوامل نجاح العلاقات الثقافية بين حكام الأندلس وغيرهم<sup>(65)</sup> وهذا ما يفخر به ابن خلدون ويوثقه في سيرته هذه.

كما أنه يلحق هذا النص بذكر شخصية أخرى متمثلة في طبيب يهودي بقوله: ((وأثنى علي عنده إبراهيم بن زرر اليهودي المُقدّم في الطب والنجامة، وكان لقيني بمجلس السلطان أبي عنان، وقد استدعاه يستطبه، وهو يومئذ بدار ابن الأحمر بالأندلس، ثم نزع \_ بعد مهلك رضوان القائم بدولتهم \_ إلى الطاغية، فأقام عنده، ونظمه في أطبائه، فلما قدمت أنا عليه، أثنى عليّ عنده)) (66).

وفي هذا النص عدة مقاصد لابن خلدون يتعمد توثيقها في خطابه الرحلي إلى الأندلس، إذ يبين تعامله مع معتققي الديانات الأخرى من غير المسلمين، وتعامل حكام النصارى والمسلمين مع اليهود في الأندلس وعدم معاداتهم لهم، إذ كان هذا اليهودي من أطباء السلطان ابن الأحمر في

<sup>(63)</sup> رحلة ابن خلدون، 86.

<sup>(64)</sup> ينظر: نفسه، هامش (1)، 86.

<sup>(65)</sup> ينظر: زمان الوصل-دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس: د. صلاح جرار، 71.

<sup>(66)</sup> ينظر: رحلة ابن خلدون، 85-86.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني  
"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"  
17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

الأندلس، واستعان به السلطان ابن عنان في المغرب العربي، ثم انتقل إلى الطاغية ملك قشتالة النصراني للعمل عنده، وهذا يظهر التسامح الديني الذي كان يسود المجتمع الأندلسي، ومكانة الإنسان بعلمه بغض النظر عن ديانته فيه.

كما يشير هذا النص وما قبله إلى مكانة ابن خلدون المرموقة ليس في نظر أصحابه وأهل ملته فحسب وإنما في نظر الآخرين من معتققي الديانات الأخرى أيضاً.

فابن خلدون في خطابه الرحلي إلى الأندلس يركز أكثر ما يركز على الشخصيات وفي مقدمتها شخصيته كونه بطل رحلته، فضلاً عن الشخصيات التي لها دور مميز في هذه الرحلة ووصف مشاعره تجاههم مقابل وصف مشاعرهم وتعاملهم معه، مركزاً على ذكر مكانتهم الاجتماعية المرموقة دون وصف ما يتعلق بهم من ملابس وحوارات بألفاظهم وأساليبهم عدا ما كان من مساجلات شعرية ونثرية مع ابن الخطيب، مع ملاحظة عدم ذكره للشخصيات الأخرى من عامة الشعب وأوصافهم.

### ثالثاً: الأزمنة والأمكنة في خطابه الرحلي الأندلسي

بما أن ابن خلدون قد وثق هذه الرحلة في زمن متأخر عن حدوثها إذ كانت رحلته إلى الأندلس بين 764-766 هـ، وكتب أنه انتهى من كتابة رحلاته سنة 807 هـ، لذا فإن سرده لها يعتمد على الذاكرة التي ((تستحضر صور الرحلة، وتعيد إنتاجها لغويًا، وفي إعادة الإنتاج يكون للرحلة نفسها دورها في توجيه الأحداث والوقائع وفق أحاسيس وانفعالات جديدة ترتبط بالحاضر، ولا علاقة لها بأحاسيس الرحالة-الشخصية زمن وقوع الرحلة، فالذاكرة... هي إدراك مباشر للزمن الماضي، ويرتبط بسرد هذا الماضي وفق ضوابط خاصة تموقعه في الزمن والفضاء))<sup>(67)</sup>، كما أن تحديد المرجعين الزمني والمكاني يعد مرتكزاً أساسياً من مرتكزات تداولية الخطاب إذ لا تتم عملية التلطف بالخطاب دون حضور الأدوات الإشارية الثلاثة الدالة على: (الشخصية، المكانية،

<sup>(67)</sup> خطاب الرحلة -الذاكرة وآليات إنتاج الدلالة: 16-17.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني  
"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

الزمانية)<sup>(68)</sup> فالأزمنة والأمكنة التي يذكرها الرحالة -السارد (ابن خلدون) هي التي توثق المرجعية التاريخية الواقعية لرحلته لتتميز عن الرحلات الخيالية.

وقد ثبت ابن خلدون في رحلته هذه أزمنة وتواريخ أغلب الحوادث التي صادفته مثل زيارته لكبير سبته أثناء رحلته إلى الأندلس بقوله: ((ولما مررتُ به سنة أربع وستين)) (69) أي 764هـ، كما وثق وقت سفره ليلاً ليرحل عنه متجهاً إلى الأندلس بقوله: ((وأركبني الحرّاقة ليلة سفري)) (70)، كما وثق الأزمنة والأمكنة التي تخللت رحلته هذه وصولاً إلى الأندلس بقوله: ((وحطتُ بجبل الفتح وهو يومئذٍ لصاحب المغرب. ثم خرجتُ منه إلى غرناطة... وليلةً بتُّ بقرب غرناطة على بريدٍ منها، لقيني كتابُ ابن الخطيب يهنئني بالقدوم ويؤنسني..... ثم أصبحتُ من الغد قادمًا على البلد وذلك ثامن ربيع الأول عام أربعة وستين)) (71)، فابن خلدون يسرّع في سرد الأحداث بذكر أزمنتها وأسماء البلدان والمدن دون التفصيل بذكر أحوالها وأوصافها.

أما في ذكر مكوثه في الأندلس فقد تطرق نوعاً ما لتوصيف بعض الأماكن مثل قوله في حديثه عن كرم السلطان ابن الأحمر له: ((وهيأ لي المنزل من قصوره، بفرشه وماعونه)) (72)، فقد وثّق اهتمام السلطان ابن الأحمر به بحيث أنه هيأ مكان سكنه بنفسه بما فيه من متطلبات الحياة الأساسية للأكل والنوم (بفرشه وماعونه) دون ذكره لتوصيف ذلك المنزل بإعطاء صورة شكلية أو لونية له، وأنه خص ذلك المنزل بأنه من قصوره ليوحي للمتلقي بأهمية مكانته عند السلطان.

كما أنه وثق زمان ومكان رحلته إلى الطاغية ملك قشتالة الذي اختار بدوره مدينة إشبيلية مكاناً للقائه به لما فيها من خصوصية عند ابن خلدون يبدو أن الأذفونش كان متعمداً بمقابلته فيها

<sup>(68)</sup> ينظر: استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، 81-85.

<sup>(69)</sup> رحلة ابن خلدون، 84.

<sup>(70)</sup> نفسه، 84.

<sup>(71)</sup> رحلة ابن خلدون، 84-85.

<sup>(72)</sup> نفسه، 85.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

ليستميله إليه، إذ قال ابن خلدون: ((وسفرْتُ عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ،... فلقيتُ الطاغية بإشبيلية، وعانيتُ آثار سلفي بها، ... وأظهر الاغتياب بمكاني، وعلم أولية سلفنا بإشبيلية... فطلب الطاغية مني حينئذٍ المقام عنده، وأن يرِدَ عليّ ثُراث سلفي (إشبيلية))<sup>(73)</sup>، فعين سنة سفارته إلى الطاغية ممثلاً حكام غرناطة لعقد الصلح معه، ونجد أنه يكرر في خطابه الرحلي هذا لفظ (يومئذٍ) ليؤكد للمتلقي حديثه عن زمنٍ ماضٍ يستمده من ذاكرته، وتظهر (النوستالجيا) واضحة في هذا النص حيث حنين ابن خلدون إلى ماضيه وأمجاد أسلافه في إشبيلية ورغبته العميقة في إعادتها، ولعب الطاغية على هذا الوتر الحساس بالنسبة لابن خلدون كي يغريه في المكوث في هذه المدينة واستمالته ليكون من رجاله ويعيد ماضيه التليد، وهي طريقة من طرائق الإغواء الذي هو فن من فنون الخطاب الإقناعية يخاطب العاطفة ويستعمل كطريقة منبثقة من طبيعة الحجاج الهادفة إلى الإقناع<sup>(74)</sup> اتبعها الأذفونش معه لكنه لم يفلح للالتزام ابن خلدون الديني ولمعرفته بمقاصد الطاغية عدو الإسلام والمسلمين الخبيثة.

كما يوثق أيضاً مشاركته بقصائد في حضوره للاحتفالات العامة والخاصة بالسلطان مثل الموالد النبوية في الأندلس والتي يذكر فيها الزمان المقترن به شخصياً بقوله: ((حضرتُ المولد النبوي لخامسة قدومي، وكان يُحتفل في الصنيع)<sup>(75)</sup> فيها والدعوة، وإنشاد الشعراء اقتداءً بملوك المغرب)) (76) أي في السنة 665هـ وليس كما يفهم للوهلة الأولى بأنها السنة الخامسة لقدومه إلى الأندلس لأنه حضر إلى الأندلس سنة 664هـ ولم يمكث بها إلا سنتين، وقد وثق العادات والتقاليد فيها من الاحتفال بالمولد وتقديم الطعام والإنشاد، وتوثيق ذلك من أهم المقاصد الواضحة التي يبتغيها الرحالة في ذكر رحلاتهم ومقارنتها مع العادات والتقاليد للبلدان الأخرى<sup>(77)</sup> كما فعل هنا ابن خلدون بمقارنة هذه الموالد بتلك الموجودة في المغرب العربي، كما أنه أشاد في قصيدته

<sup>(73)</sup> نفسه، 85-86.

<sup>(74)</sup> ينظر: عندما نتواصل غير-مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: د. عبد السلام عشير، 19-20.

<sup>(75)</sup> الصنيع: يريد به هنا الاحتفال.

<sup>(76)</sup> رحلة ابن خلدون، 86.

<sup>(77)</sup> أدب الرحلات، 191-192.





جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

التي ألقاها في الحفل برقي البناء الأندلسي من خلال وصفه للمكان الذي أقيم فيه الحفل في إيوان قصر السلطان وهو المكان المفتوح الذي بناه لجلوسه بين قصوره حسبما يعرفه ابن خلدون وهو أعظم شأناً من أووين وقصور ومنتزهات بلاد فارس والشام بقوله<sup>(78)</sup>:

صرحُ يُحَارُ لديه الطرفُ مُفْتَتِئاً  
فيما يروكك من شكّلٍ وتلويين  
بُعْدًا لإيوانٍ كسرى إنَّ مشورك<sup>(79)</sup> السامي لأعظم من تلك الألووين  
ودع دِمَشقَ ومغناها فقصرُك ذا وأشهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيرون<sup>(80)</sup>

وقوله في حضور الاحتفال بختان ابن السلطان: ((وأشده سنة خمس وستين في إعدار ولده والصنيع الذي احتفل لهم فيه، ودعا إليه الجفلى<sup>(81)</sup> من نواحي الأندلس))<sup>(82)</sup>، وهذا توثيق آخر للعادات في الأندلس بحفل ختان ابن السلطان بدعوة الناس إلى الطعام من شتى أنحاء الأندلس.

كما نجد في حديثه عن سفر عائلته من موطن خوالهم الذي استأمنهم به قبل رحيله إلى الأندلس وصولاً إليه في غرناطة تلبية لأمر السلطان تكثيفاً لذكر الأماكن إذ يقول: ((أمر باستقدام أهلي من مطرح اغتربهم بقسنطينة، فبعث عنهم من جاء بهم إلى تلمسان، وأمر قائد الأسطول بالمرية، فسار لإجازتهم في أسطوله، واحتلوا بالمرية، واستأذنت السلطان في تلقيهم، وقدمت بهم على الحضرة، بعد أن هيات لهم المنزل والبستان، ودمنة الفلج، وسائر ضرورات المعاش))<sup>(83)</sup> فابن خلدون في هذا النص يبالغ في بيان علو شأنه وشأن عائلته في الأندلس بحيث أن السلطان

<sup>(78)</sup> ينظر: رحلة ابن خلدون، 87.

<sup>(79)</sup> المشور: كما يعرفه المحقق محمد بن تاويت مصطلح مغربي أندلسي يدل على المكان الذي يجلس فيه السلطان فمن دونه.

<sup>(80)</sup> جيون: والمعروف اليوم أنه باب من أبواب الجامع بدمشق، وهو بابه الشرقي، يقال له باب جيون، وفيه فؤارة ينزل عليها بدرج كثيرة في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح، معجم البلدان: ياقوت الحموي، ج 2/199.

<sup>(81)</sup> الجفلى: دعوة الناس إلى الطعام (لسان العرب المحيط (مادة: جفل)، ج 1/473.

<sup>(82)</sup> رحلة ابن خلدون، 88.

<sup>(83)</sup> نفسه، 90.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

(17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

يتابع بنفسه نقل عائلته وتوصيلهم إليه، كما أن ذكره اغترابهم يثير الشفقة أثناء حديثه عن مكانهم في (قسطنطينة) التي وصفها بأنها مطرح اغترابهم، رغم أنها بلد خوالهم كما أشار مسبقاً وفي ذلك إشارة إلى عدم استيطانهم عندهم بعيداً عنه، كما يذكر طريق رحلتهم هذه المرة لا رحلته هو وبصحبة مبعوث من السلطان، مارين بتلمسان غرب الجزائر وهي رحلة برية، ثم بدأت رحلتهم البحرية وصولاً إلى مدينة المرية جنوب شرق الأندلس حيث أمر السلطان قائد الأسطول في المرية بنفسه وبأسطوله الخاص أن يصطحبهم من تلمسان، ورغم كل ذلك التقدير من السلطان فقد أثبت ابن خلدون أن ذلك لم يفقده احترامه للسلطان وتماديه، وإنما زاده احتراماً وطاعة، ويتضح ذلك في قوله (استأذنت السلطان في تلقيهم)، ويصف بعدها المكان الذي أعده لسكنهم محددًا مكانه في (الحضرة)، ويحمل هذا اللفظ الكثير من الدلالات المأخوذة من معناه اللغوي؛ إذ يشير إلى مكان حضور الرجل في المدينة أو القرية أو الريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار<sup>(84)</sup>، فوصف ابن خلدون لمكانه في غرناطة بالحضرة له غاية مقصدية تشير إلى حضور مكانته بها واستقراره فيها. كما أنه يلحق ذلك بوصف المكان الأخص فالأخص بقوله: (هيأت لهم المنزل والبستان، ودمنة الفلح، وسائر ضرورات المعاش) فبدأ بذكر المنزل الذي سينزلون ويستقرون به، ويثني بذكر البستان وهي الأرض ذات الشجر المحيطة بالبيت ولها سياج، فهذه الأوصاف لمكان نزل أهله توجي بضمه لهم بعد طول البعاد وبالحمية والاستقرار، كما أن توفير دمنة الفلح وهو الأرض المهيئة للزرع بعد تسميدها يزيد الدلالة على ما تقدم من مقاصد، ثم يختصر الحديث والسعة في التوصيف كما هو دأبه بقوله (وسائر ضرورات المعاش).

وبعد أن ذكر ترحيب ابن الخطيب لهم يقتضب الخطاب دون ذكر أحوالهم ومعاشتهم في غرناطة منتقلاً مباشرة إلى الأسباب التي جعلته يغادر الأندلس من سعايات الحساد بينه وبين ابن الخطيب وزير غرناطة مما أدى إلى طلب الرحيل عن الأندلس وإقناع السلطان بذلك موثقاً تاريخ الرحيل عنها بالتاريخ الموثق في نهاية المرسوم بتشييعه الذي هو بأمر السلطان ومن إملاء ابن الخطيب، فانتهى بذكر: ((وكتب في التاسع عشر من جمادى الأولى عام ستة وستين وسبع

<sup>(84)</sup> ينظر: لسان العرب المحيط، (مادة حضر)، ج 1/ 658.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

(17-16 كانون الأول 2020 (المجلد الأول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

مائة. وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان، ونصها: (صح هذا) ((85). فبين من خلال ذلك النص تقليدًا أندلسيًا في توديع رجالات الدولة ذوي الشأن المرموق بإعلان ذلك في مرسوم جمهوري، كما يستدعي ذلك اقتضاء أنه ذو مكانة مميزة في البلاد، فضلاً عن بيان أسلوب تلك النصوص في انتهائها بذكر التاريخ وبعده وضع (علامة السلطان) والتي هي بخطه تأييداً بصحة ما ذكر في المرسوم بلفظ (صح هذا)، ويتضح من خلال تعريف ابن خلدون بمصطلح (علامة السلطان) في أكثر من موضع في كتاباته أن هذه العلامة تختلف من سلطان إلى آخر وربما من مكان إلى غيره؛ إذ أشار إلى أنه سبق أن تولى كتابة العلامة للسلطان حينما كان شاباً صغيراً في تونس بقوله: ((فكتب العلامة للسلطان، وهي وضع (الحمد لله والشكر لله) بالقلم الغليظ، مما بين البسمة وما بعدها، من مخاطبة أو مرسوم))<sup>(86)</sup>، فاختلف مفهوم هذا المصطلح وأسلوبه باختلاف المكان والزمان.

وبذلك يكون ابن خلدون قد غادر غرناطة على مضض وظل يذكرها ويتواصل مع رجالاتها إلى أن توفي، وجدير بالذكر أن ذاكرته في توثيق أزمنة هذه الرحلة جيدة نوعاً ما من خلال ذكر سنوات وقوعها ومناسباتها، أما الذاكرة المكانية فهو يركز على المشاعر التي انتابته في ذكر الكثير منها بصورة مباشرة كذكره اشبيلية التي أثارت حنينه إلى ماضي أجداده، أو بصورة غير مباشرة من خلال انتقاء الألفاظ الدالة مثل ذكر الحضرة والمنزل وغيرها كما أسلفنا.

ولكن نجد الذاكرة تخونه أحياناً في توثيق عدد من النصوص الأدبية له ولغيره من الأدباء، إذ يعترف بأنه قد نسيها كاملة أو نسي بعضها منها<sup>(87)</sup>.

وبنظرة عامة لخطاب الرحلة الأندلسية عند ابن خلدون ومقاصده نستنتج أنه ركز على التعريف بالشخصيات التي قابلها فيما يتعلق منها بالمعنوي من صفاتها دون الشكلي أكثر من تركيزه على أوصاف الأمكنة والأزمنة بحيثياتها التفصيلية، كما أنه ركز على الإفصاح عن مشاعره في هذه

<sup>(85)</sup> ينظر: رحلة ابن خلدون، 92.

<sup>(86)</sup> نفسه، 65.

<sup>(87)</sup> ينظر: على سبيل المثال: رحلة ابن خلدون، 88، 80.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

الرحلة إزاء الشخصيات والأماكن، ولم يركز على حوار مع الشخصيات، وأنه خص ممن قابلهم في رحلته هذه الطبقات العليا في البلاد من ذوي السلطة دون عامة الناس وطرائق معيشتهم، ليؤكد بذلك على مقصديته الكبرى في إعلاء شأن نفسه وتوثيق ما تمتع به من مكانة في هذه الرحلة، فضلاً عن إبداء كم الحنين والاشتياق الى إعادة أمجاد أجداده في الأندلس من خلال فرض مكانته فيها.

#### ثبت المصادر والمراجع

- آليات التداولية في الخطاب -الخطاب الأدبي أنموذجاً: عبد القادر عواد، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج74، مج19، يوليه 2011م.
- ابن خلدون إسلامياً: د. عماد الدين خليل، نشر المكتب الإسلامي، 1403هـ-1983م
- أدب الرحلات- دراسة تحليلية من منظور أنثوجرافي: د. حسين محمد فهميم، سلسلة كتب عالم المعرفة (138)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1409هـ-1989م.
- أدب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري: د. نوال عبد الرحمن الشوابكة، تقديم: أ.د. صلاح جرار، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 1428هـ-2008م.
- أدب الرحلة: د. حسين نصار، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط1، 1991م.
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2004م.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15 - أيار / مايو 2002 م.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن وهو كتاب (نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان):  
للأمير الأندلسي الغرناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت807هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية،  
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ-1987م.
- الاقتضاء في التداول اللساني: عادل فاخوري، عالم الفكر، ع3، أكتوبر 1989م
- توظيف النوستالوجيا في بناء الرسالة الإعلانية (دراسة على الإعلان التلفزيوني بمصر): أ.د. لمياء  
عبد الكريم قاسم، م. د. إلهام عبد الرحمن إبراهيم، إيمان جمال محمد، مجلة العمارة والفنون، ع 10
- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس: تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي، بحث: الأندلس وشمال  
أفريقيا في عقيدة الموحدين: مادلين فليتش، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية،  
بيروت، ط2، 1999م.
- خطاب الرحلة -الذاكرة وآليات انتاج الدلالة: سعيد جبار، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ،  
2017م.
- رحلة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشيلي المتوفى (808هـ)، تحقيق: محمد بن تاويت  
الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2009م.
- زمان الوصل-دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس: د. صلاح جرار، وزارة الثقافة،  
المملكة الأردنية الهاشمية، 2009م.
- سيرة الغائب سيرة الآتي- السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطفه حسين: شكري المبخوت، سلسلة مفاتيح  
يديرها حسين الواد، دار الجنوب للنشر، تونس، (د.ط) 1992م.
- السيميولوجيا وأدب الرحلات: لطيف زيتوني، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج24، ع3، 1996م.
- عندما نتواصل نغير-مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: د. عبد السلام عشير، أفريقيا  
الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2012م.
- غائب طعمة فرمان روائياً: د.فاطمة عيسى جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط1،  
2004م.
- في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات: إبراهيم خليل، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم  
ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1431هـ-2010م.



جامعة دهوك  
كلية التربية الاساس



ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع المشترك الثاني

"المستجدات الحديثة في التعليم العالي في ظل التعليم الالكتروني"

17-16 كانون الاول 2020 (المجلد الاول)



الجامعة العراقية  
مركز البحوث والدراسات

- كتاب دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.
- لسان العرب المحيط: ابن منظور (ت711هـ)، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب - بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- ما هو مصطلح النوستالجيا: شروق مصطفى موقع (المرسال) almrsal.com
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت-لبنان، ط1، 1429هـ-2008م.
- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2 منقحة ومزيدة، 1984م.
- مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج15، ج7، سنة 2005.
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دراسة: أحمد الزغبى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت -لبنان، (د.ط)، 2001م.
- النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: أبو العباس أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.